



ISSN: 2581-3455

العدد السادس - المجلد الثالث

يناير - يونيو 2020

الجيل الجديد

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مركز الدراسات العربية والإفريقية، مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

قصة قصيرة

البيت المهجور

قصة: عائشة بنور*

Email: aichabenour77@gmail.com

تنهض جمانة كل ليلة مفزوعة من فراشها تتحسس صدرها ثم تتفقد صغيرها الذي يغط في نوم عميق وهي تسحب الغطاء عليه، قائلة:
- صغيري لا ينام إلا والحلمة البنية في فمه..

هذا ما كانت تهذي به جمانة كلما استجوبها الطبيب النفسي في عيادته. كان الجميع يعتقد أنها أصيبت بمرض ألزهايمر أو أنه من شدة الألم اختل عقلها، لكن المرأة لم تتس صغيرها ولم تتس أحمد الذي سقط تحت وابل من القنابل النيوترونية التي شنتها غارات الطائرات آنذاك، مازالت تتذكره ورفاقه كلما مرت بجانب البيت المهجور الذي ترسم خلفه الجسور المعلقة لمدينة الضباب قسنطينة.

كانت تتخيل شخوصا متباينة الملامح بجانب الضوء المنعكس من النافذة المطلّة على الجانب الأيسر من الحديقة ذات الأشجار الوارفة الظلال والمتدلّية أغصانها على شرفات المنزل الكبير. البيت يبدو مهجوراً للفضولي الذي يتعقب سحره الخارجي. لم يكن الوقت مناسباً للاستيقاظ حينما وجدت نفسها تدور حوله، وقد تركت خلفها باب غرفتها مغلقاً حتى لا ينتبه أحد لخروجها في هذا الوقت المبكر.

ترأّت لها ثمة حركات خفيفة للنّاس وكأنّها أشباح هياكل تترامى على الطرقات وأخرى متخفية في زوايا العمارات، يتسربُ الخوف في هذا الوقت حتى بزوغ الفجر. وقتها كانت أنفاسها اللاهثة تزداد قوّة وهي تتحسسُ بأناملها شفيتها الباردين وقد صاح صوت حاد مازال صدها يرنُّ في مسمعها آنذاك وبإلحاح شديد كأنّه صوت أحمد يأتي من شرفات البيت المهجور يقول لها:

* روائية جزائرية. فاز هذا الإنتاج الأدبي بالجائزة الأولى دولياً في القصة القصيرة من المنظمة العالمية للإبداع من أجل السلام بلندن (مسابقة الأديبة وفاء عبد الرزاق للإبداع الفكري) في دورتها الأولى 2020م.

. لا تقتربي من المكان؟

تطوف جمانة مرّات ومرّات حول البيت المهجور، هاربة من وساوسها الليلية وهي تتخيّل وجوههم الواحد تلو الآخر، ثم يتناهى إلى سمعها همس خفيف للطبيب أثناء الفحص زرع الأرض من تحت قدميها وهو يحرق في الأوراق قائلاً:

. في انتظار التحاليل المخبرية سوف تجرى لك عملية الاستئصال الكلي للثدي...

حدقت النظر فيه بقوة ولم تنبس ببنت شفة.

كان صوته بعيداً، بعيداً جداً، كأنها لم تسمع ما قاله، أحسّت بأزيزٍ قويٍّ، ورأسها يتصدع وكاد أن ينفجر ثم لاحت صورة ابنها الرضيع أمامها وهو الذي لا ينام إلاّ والحلمة البنية في فمه ثم خرجت من عنده محطمة تمسح عرقاً بارداً يتصبب من جبينها وجسدها يرتعش ارتعاشاً من هول الصدمة.

ابتلعت صرخاتها وأينها في جوفها، حاولت جمع أنفاسها اللاهثة، تذكرت لحظتها والدتها التي توفيت بالسرطان، أغمضت عينيها خشية ما قد يظهر لها في لمح البصر، تراجعت نحو الخلف بخطوات حتى كادت أن تهوى على الأرض بعد أن تعثرت قدمها بقطعة خشبية لم تنتبه لها في ظلمة الليل الحالك وسارعت الخطى في الشارع القريب من بيتها عائدةً إلى غرفتها.

استرسلت في مخاوفها فقد كان يتطلب منها وقتاً طويلاً كي تنسى ما يحدث لها كل ليلة كلما اقتربت من البيت المهجور، وبوجهها الشاحب المصفر وبعينين مغلقتين من شدة الخوف تبقى في فراشها متمسرة حتى بزوغ الفجر، تمسح دمعاً حارفاً وصوت الطبيب يملأ فراغ الغرفة ودوي الانفجارات في المدينة يزيد من هلعها.

وتمر الأيام كئيبة، تذكر صباح أمس كان يشبه إلى حد ما صباح لقاءات العشاق بعد ليالٍ من اللهفة والانتظار تتخيل ملامحه الممتزجة مع ابتسامته الخفيفة وهو يمد يده اليسرى مصافحاً، فاليد الأخرى كانت ملفوفة في ضمادة.

حينما رآها أحمد تنتظر إليه بألم، هزّ رأسه قائلاً:

. لا عليك يا جمانة، إنه مجرد حادث بسيط .

ابتسمت غير راضية وأدركت أنه يخفي شيئاً، ثم قالت:

- عقلاء في هيئة مجانين!!

تذكر أحمد في لمح البصر آنذاك لحظة تعذيبه، وبإحدى زوايا تلك الغرفة اللعينة أسملاً ممزقة ومرمية على الأرض وحذاءً قديماً، مغطس الماء به رغوة الصابون، وبجانبه حنفية ماء وحبلاً غليظة، ومعدات كهربائية، وكرسياً في وسط الغرفة ولحظات مروعة مرّت في حياته، وسره يردّد:

- ما أقبح الصورة التي تراها بعد ذلك اليوم!!

ثم تنهد قائلاً:

- ... نحن إخوة!!

اقتربت جمانة وكأنها أدركت ما يشعر به، ثم أردفت، وقد نظرت إليه في استحياء قائلةً:

- كنت سأفتقدك؟

قال:

- ولكن ليس بهذه الطريقة!

قالت:

- وكيف؟

قال بصوت خافت وهو يتأرجح:

- المكان سيبقى فارغاً من بعدي..

استرسلت في مخاوفها ولسان حالها يردّد مستوحشا المكان قائلة:

لم أنتبه لقوله، كانت همساتي صامتة، لكنه كان يشعر بأنفاسي وخلّت نفسي وحيدة في هذا المكان الموحش، ثم انفجرتُ باكياً...

كنت أتكلم مع نفسي، أحسب أنني الوحيدة فوق هذه الأرض من تتكلم وحدها، حتى خيل إليّ مجنونة أو قاربت، أو أنني أتهدأ أشياء وأشياء، لم أستطع أن أتكلم بصوت عال، كل ما كنت أفعله أنني أتحدّث مع نفسي بصوتين مختلفين لا أحد يسمع صوت وجعي سواي.

ردّ أحمد مازحاً ومقتنعاً ممّا يقول:

- أعتذر.. ولكن مازال عليك الانتظار.. أكثر، فأكثر، وأن تكوني قوية من أجل نفسك ومن أجلي ومن أجل صغيرنا.
فجأة اختفى الرجل في ظلمة الليل البهيم وبقيت وحدي أدور وأدور حول البيت المهجور كل ليلة، وكانت الحياة بيني وبينه مجرد مسألة وقت، وانتصر الموت في النهاية دون أن يعتذر مني أو يمازحني كما تعودت منه عند كل لهفة لقاء، متخلية في لحظة عن حلمنا معا، وأنا مازلت أثق في نفسي، وإيماني بتحقيق السعادة رغم احتراق المدينة واستئصال ثدي، ومازلت أذكر صغيري كل ليلة وهو يداعب الحلمة البنية بين شفثيه.

R.N.I No DELARA/2017/74554

ISSN: 2581-3455

AL- JEEL AL- JADEED

International Half-Yearly Refereed Journal



Vol. No. 3

Issue. No. 06

January-June 2020

New Delhi



ISSN 25813455



Printed and Published by Prof. Rizwanur Rahman, Centre of Arabic and African Studies.
Printed at J K Offset Printers, 315, Gali Garahya, Jama Masjid, Delhi-110006
Published from Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS,JNU, New Delhi-110067

Editor: Prof. Rizwanur Rahman